

## حتى لا تكون تونس دولة معزولة في محيطها



الحبيب الأسود  
كاتب تونسي

صفحة الإخوان. وبقيت تونس كما أراد لها السياسيون الهواة معزولة في محيطها تبحث عن نصيب من كعكة إعادة الإعمار في جارتها الشرقية؛ خصوصاً في المنطقة الغربية الأقرب إليها بمنطق التاريخ والجغرافيا والوشائج الاجتماعية. لكن اردوغان سبقها إلى ذلك، ودفع بشركاته واستثماراته تحت غطاء قواته ومرترقته، وحتى بمنظمة "تيكا" المخبرانية التي ترى أن أزمة الفقراء في الدواخل التونسية قد تنتهي ببعض الدجاجات والديكة التي توزعها عليهم. من حق الليبيين أن يحددوا مصالح بلادهم وفق التوازنات الإقليمية والدولية ووفق تطلعاتهم نحو مستقبل أفضل بعد سنوات الدمار والخراب. وعلى التونسيين أن يدركوا أن حل مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية يبدأ من الداخل، وليس برمي وزر خسائرهم على الآخرين، بدل إعادة النظر في خياراتهم الفاشلة التي كرسوها خلال السنوات الماضية، والتي جعلت مصالح الجماعة فوق مصالح المجتمع، وحسابات الحزب أو الحركة فوق حسابات الدولة، ومنطق المحاصصة فوق مبدأ الكفاءة في إدارة شؤون الحكم، والتي حولت الفساد في كافة مناحي الحياة إلى نمط اجتماعي سائد.

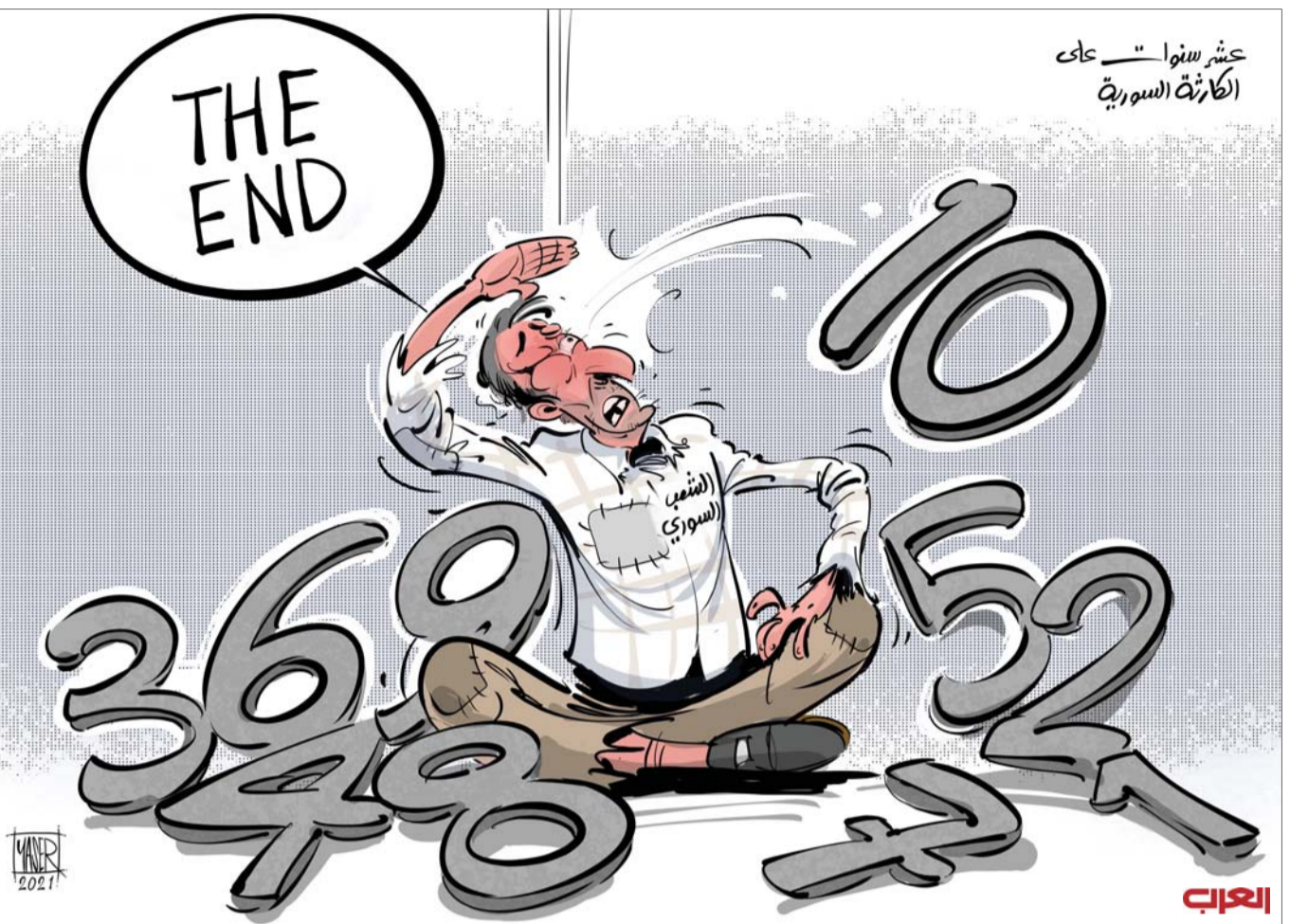
عندما تضطر وزارة الخارجية التونسية في كل مناسبة إلى تصريحات موقفة للدولة من تصرفات منفلتة لمسؤولين سابقين أو ناشطين سياسيين أو محللين في منابر التلفزيون، فذلك يعني أن خلا حقيقياً يضرب ما توصف منذ عشر سنوات بالديمقراطية الناشئة، فإما أن تكون تونس ديمقراطية حقيقية وتحتمل الدولة جميع مسؤولياتها، بما في ذلك المتعلق منها بحرية التعبير، أو أن تضبط إيقاع وسائل إعلامها، وتقيم رقابة جديده على مواقع التواصل الاجتماعي، وتحاول أن تحول دون الوقوع في تلك المطبات التي تسيء لعلاقتها، لا سيما مع الدول العربية، وأن يكون ذلك من منطلقات مبدئية واضحة، لا من مجرد حسابات انتهازية مصلحية فجة يتم اعتمادها فقط عندما يتعلق الأمر بالجزائر وليبيا.

إن مشكلة تونس منذ العام 2011 هي الانفلات الكامل في التعامل مع المصالح العليا للدولة، والسبب أن الوافدين الجدد على المشهد السياسي وعلى إدارة الحكم حاولوا توجيه شرع العلاقات الخارجية وفق سياسة المحاور التي تم تكريسها بمنطق من يقف مع ما سميت ثورات الربيع العربي ومن يقف ضدها، ثم من يقف مع الإسلام السياسي ومن يقف ضده، وكان واضحاً أن الأحزاب العقائدية الإخوانية والماركسية والقومية تعمل على الانقلاب على ثوابت الدولة الوطنية بما في ذلك دبلوماسيتها التي كانت تتميز بالحكمة والهدوء في التعامل مع المحيطين العربي والدولي.

أغلب التصريحات المنفلتة هي تلك الصادرة عن من يطلقون على أنفسهم صفة الخط القوي، ذلك الذي لم يدرك بعد أن الدولة غير الثورة، وأن الثورة تقيض الدولة، وأن مصلحة البلاد تتطلب عقلنة الموقف، وأن الكلمة مسؤولية جسيمة لا سيما عندما تصدر عن شخصية اعتبارية، أو من منابر رسمية، أو في مواقع يمكن للسلطات التحكم فيها.

إن الانفلات في التعبير هو وليد انقلابات طالت كل المجالات، وحول البلاد إلى جزر سياسية واجتماعية وإعلامية متناقضة منذ أن دفع الإسلام السياسي بالبلاد إلى صراع المحاور، وتبني مشروع الإخوان في المنطقة، واندفع في العام 2011 إلى دعم مسارات الفوضى الخلاقة، وبشر بانها ستعم كافة دول المنطقة من المحيط إلى الخليج، وفن أن اندلاع الشرارة من تونس سيعطيها الأفضلية إقليمياً ودولياً، وسارع إلى الحكم لجني الثمار، ووضع كل البيض في سلة القوى الغربية وخاصة الأميركية التي كانت تقود معركة التغيير الفوضوي في بلاد العرب، واعتبر أن قطر وتركيا هما من يمتلكان الحقيقة وتدبران الصراع وتجهان نحو كسب الرهان، لتكون النتيجة عزلة تونس بسبب فشل كل الرهانات، حتى أن علاقاتها مع أغلب الدول العربية اليوم لا تتجاوز أنها علاقات دبلوماسية من باب المجاملات الفاقدة لحرارة التعاون البنيني والتضامن الأخوي.

عادت قطر إلى محيطها الخليجي، حتى وإن كان ذلك بمصادقة مشكوك في جدتها. وتحاول تركيا بكل الوسائل فتح جسور التواصل و"التطبيع" مع مصر والسعودية والإمارات، بحثاً عن مصالحها. واتفق الليبيون على تجاوز حرب السنوات العشر. وطوت مصر



## الكاظمي والحوار الممنوع

المصالحة والحوار بان شكلوا مؤسسات رسمية تابعة لمجلس الوزراء المصالحة لا وجود لها، كانت ميداناً للسرقة والنهب والسفريات السياحية. دعوة الكاظمي للحوار لا علاقة لها بمف ما يعرف بالحوار والمصالحة الوطنية. دعوته هي جزء من محاولاته استنصار زيارة بابا الفاتيكان لصالح مشروعه السياسي المتواضع، فاطلق دعوته للحوار بين الحكومة وأحزابها وممثلة ثورة أكتوبر (تشرين). وهو لا يقصد الحوار مع المعارضين لل نظام السياسي القائم، وهم كثر في مختلف الاتجاهات الوطنية. لأن ذلك ممنوع، فيتم تشييت انتباه الرأي العام إلى أن المعارضين هم البعثيون "المحتجون" ومعهم الإرهابيون.

إن قصد الكاظمي من دعوته إجراء حوار بين سلطة الأحزاب وشباب ثورة أكتوبر فلن تلقى هذه الدعوة قبولاً من أبناء الثورة أنفسهم، حيث سارع بعض ممثلهم إلى رفضها قبل أن يتم إلقاء القبض على قتلة شهدائهم ومحاکمتهم. كما لن يقبل من وصفوا ثوار أكتوبر بـ"عملاء السفارات والجوكرية" الحوار معهم، لقد استنصروا بهم في تصريحاتهم وبياناتهم، فكيف يتحاورون معهم؟

أطراف الحكم الرئيسيون ومراكز القوة المعروفة تعاطوا مع دعوة الكاظمي بما يخدم برنامجهم في الحفاظ على مكتسباتهم وفوزهم في الانتخابات المقبلة. بعضهم اشترط الإشراف الأممي وإبعاد "البعثيين والإرهابيين" عن الحوار، والبعض الآخر سارع إلى التأييد في إطار صفقة تعاون مع الكاظمي في الانتخابات المقبلة. أما ممثلو الميليشيات الولائية الداعين إلى إسقاط حكومة الكاظمي فقد رفضوا الدعوة.

الأحزاب الشيعة الحاكمة تستخف بجميع عناوين الحوار والمصالحة وتعتبرها فرصة للبعثيين الذين

البلد لم تقع حروب أهلية بين الطوائف والأعراف قبل عام 2003، بل كانت معارضة لنظام حكم تزعمها قادة شيعة لظلم لحقهم وأسرهم، دخلت عليها إيران الخميني ووظفتها لإشغال حرب بين البلدين استمرت ثمانين سنوات وذهب ضحيتها أكثر من مليوني عراقي وإيراني.

كلمة الحوار تبدو براءة في دلالاتها السياسية حين تصبح نهاية للصراعات والحروب والأزمات. رغم أنها غالباً ما تكون إلهاءات المنتصر القوي وإذعان المهزوم، قد تكون منقذاً من التعب والعجز عن فرض الأمر الواقع لطرفي النزاع. لكنها في حلقات تاريخية من حياة الشعوب عبرت عن خلاص حقيقي من العنف والصراعات والأحقاد والكراهية.

يحدث ذلك حين يتوفر قادة سياسيون مخلصون لأوطانهم يجعلون من الحوار والمصالحة نهاية مراحل عصبية من الحروب والصراعات، مثلما حصل في أميركا اللاتينية والهند ورواندا وجنوب أفريقيا، التي شكّل مثاليها نيلسون مانديلا عنواناً خالداً لصفحة مهمة في التاريخ الإنساني، وطي صفحة من القتل والتمييز بحق أهل البلد السود، وبدءية عهد الحوار الوطني الداخلي بلا عقد وأحقاد وكراهية. مانديلا قال عبارتين شهيرتين "نحن نغفر لكننا لا ننسى" و"الشجعان لا يخافون التسامح"، ليلتقي الضحايا والجنّة وجهاً لوجه لتضميد جراح الماضي والمضي قدماً لبناء جنوب أفريقيا.

رواندا مثال آخر لما يحققه التسامح من نتائج حيث كانت ضحية حرب أهلية راح ضحيتها 800 ألف قتيل في مئة يوم فقط (عام 1994). صنعت المستحيل واستردت عافيتها بالتسامح وإعلاء ثقافة الاعتراف بالتعددية، وصارت نموذجاً حضارياً رائعاً في القارة الأفريقية ومركزاً اقتصادياً وتكنولوجياً في المنطقة، وتمكنت من جذب أكثر من مليون سائح عام 2014. وما كان هذا العدد ليتوافد على رواندا لولا انتشار الأمن والسلام ومظاهر الجمال في كل ربوعها حتى أن عاصمتها كيغالي اختيرت في 2015 كاجمل مدينة أفريقية.

أمثلة كثيرة لأثر قيم المصالحة والتسامح في حياة الشعوب، يحتاج دعاة الإسلام السياسي الشيعي الحاكم بالعراق الاستماع إلى دروسها، لو كان لديهم منقال ذرة من الحرص على بناء الوطن، وليس تخريبه وتدميره ونهب ثرواته. في هذا

د. ماجد السامرائي  
كاتب عراقي

كلمة الحوار تبدو براءة في دلالاتها السياسية حين تصبح نهاية للصراعات والحروب والأزمات. رغم أنها غالباً ما تكون إلهاءات المنتصر القوي وإذعان المهزوم، قد تكون منقذاً من التعب والعجز عن فرض الأمر الواقع لطرفي النزاع. لكنها في حلقات تاريخية من حياة الشعوب عبرت عن خلاص حقيقي من العنف والصراعات والأحقاد والكراهية.

يحدث ذلك حين يتوفر قادة سياسيون مخلصون لأوطانهم يجعلون من الحوار والمصالحة نهاية مراحل عصبية من الحروب والصراعات، مثلما حصل في أميركا اللاتينية والهند ورواندا وجنوب أفريقيا، التي شكّل مثاليها نيلسون مانديلا عنواناً خالداً لصفحة مهمة في التاريخ الإنساني، وطي صفحة من القتل والتمييز بحق أهل البلد السود، وبدءية عهد الحوار الوطني الداخلي بلا عقد وأحقاد وكراهية. مانديلا قال عبارتين شهيرتين "نحن نغفر لكننا لا ننسى" و"الشجعان لا يخافون التسامح"، ليلتقي الضحايا والجنّة وجهاً لوجه لتضميد جراح الماضي والمضي قدماً لبناء جنوب أفريقيا.

رواندا مثال آخر لما يحققه التسامح من نتائج حيث كانت ضحية حرب أهلية راح ضحيتها 800 ألف قتيل في مئة يوم فقط (عام 1994). صنعت المستحيل واستردت عافيتها بالتسامح وإعلاء ثقافة الاعتراف بالتعددية، وصارت نموذجاً حضارياً رائعاً في القارة الأفريقية ومركزاً اقتصادياً وتكنولوجياً في المنطقة، وتمكنت من جذب أكثر من مليون سائح عام 2014. وما كان هذا العدد ليتوافد على رواندا لولا انتشار الأمن والسلام ومظاهر الجمال في كل ربوعها حتى أن عاصمتها كيغالي اختيرت في 2015 كاجمل مدينة أفريقية.

أمثلة كثيرة لأثر قيم المصالحة والتسامح في حياة الشعوب، يحتاج دعاة الإسلام السياسي الشيعي الحاكم بالعراق الاستماع إلى دروسها، لو كان لديهم منقال ذرة من الحرص على بناء الوطن، وليس تخريبه وتدميره ونهب ثرواته. في هذا

